شعراء العرب

# عصر
# صدر الإسلام

شعراء العرب

# عصر صدر الإسلام

يوسف عطا الطريفي

أهلية
للنشر والتوزيع

الأهلية
للنشر والتوزيع

الفرع الأول - التوزيع
المملكة الأردنية - عمان - وسط البلد - شارع الملك حسين - بجانب مطعم القدس
هاتف: ٤٦٣٨٦٨٨ - فاكس: ٤٦٥٧٤٤٥ - ص.ب: ٧٧٧٢ عمّان ١١١١٨ الأردن

الفرع الثاني - المكتبة
وسط البلد - شارع الملك حسين - بجانب البنك المركزي - مكتب المقاصة
مقابل طيران الشرق الأوسط - هاتف: ٤٦٢٧٠٦١ - ٤٦٢٧٠٦٠

مكتب بيروت
بيروت - بئر حسن - شارع السفارات
هاتف: ٠١/٨٢٤٢٠٣ مقسم ١٩

شعراء العرب

# عصر صدر الإسلام

يوسف عطا الطريفي

الطبعة الثانية 2009

حقوق الطبع محفوظة

تصميم الغلاف: لينو ابراهيم zoom art - الأردن

الصف الضوئي ايمان زكريا - عمان هاتف: ٠٧٩/٥٣٤٩١٥٦

All rights reserved. No part of this book may be reproduced in any form or by any means without the prior permission of the publisher

جميع الحقوق محفوظة لايسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب
أو أي جزء منه بأي شكل من الأشكال، إلا بإذن خطي مسبق من الناشر.

e - m a i l : a l a h l i a @ n e t s . j o

بسم الله الرحمن الرحيم

# مُقَدِّمَة

هذا هو الكتاب الثاني من شعراء العرب، وهو خاص بعصر صدر الإسلام والخلفاء الراشدين. وجعلته موزعاً على شعراء مخضرمين، وشاعرات مخضرمات ثم شعراء إسلاميين وشاعرات إسلاميات، بدون الفصل بين هذه الأقسام وصدّرت الكتاب بتمهيد حول انتقال الحياة الأدبية تبعاً لتحول الحياة عامة من العصر الجاهلي إلى عصر صدر الإسلام، والظروف التي هيأت للعصر الجديد أن يسير بصورة متسارعة.

وقد سجلت لكل شاعرٍ نبذة عن حياته بما تيسر وعن الفترة التي عاشها وقد بذلت في ذلك جهداً كبيراً، ثم أثبّت لكل شاعر جزءاً من شعره مما يدلل على شخصيته وأغراضه ومميزات عصره بشكل يوضح الخصائص الأدبية لهؤلاء الشعراء.

لقد وجدت أشعاراً كثيرة في هذا العصر (عصر صدر الإسلام) مما يدفع الفكرة الشائعة في أوساط الباحثين عن انحسار في قول الشعر، وهذا زعم غير صائب، والثابت أن عدداً من هؤلاء الشعراء، انتقلوا من العصر الجاهلي إلى العصر الإسلامي وانتظموا في صفوف الجيوش المجاهدة في سبيل الله، داخل الجزيرة العربية وخارجها، واستلهموا معاني جديدة لم تكن مطروقة في حياتهم السابقة، استلهموها من آيات الكتاب العزيز، فابتعدوا عن ألفاظ الفحش واستبدلوها بألفاظ تحمل معاني الأخلاق التي وجدوها وتعلموها من آيات

القرآن الكريم، فكانوا يدافعون بالأسنّة ويقارعون عدّوهم، ويردون على الشعراء بالألسنة مما يسمح به الدين السمح، فكانت قصائدهم آيات بديعة من المواعظ الرائعة، وهذا ما وجدناه منذ البداية، منذ أول صراع بين المسلمين والمشركين، في بدر وأُحُد والخندق وحنيْن وفتح مكة، وقبلها صلح الحديبية، ثم في فتح العراق وبلاد فارس، والتقاء الجيوش في اليرموك وفي أجنادين وفي كل المواقع، ما يجعل النسيج متكاملاً بين القتال بالسيوف والرماح والدفاع عن الإسلام والمسلمين بالشعر والخطب.

وقد ذكر الشعراء في قصائدهم أماكن تواجدهم وسطروا أسماء القادة والشهداء وأسماء الأمراء، كما ذكروا أسماء قادة من حاربوهم ومدنهم وأماكنهم، فتمخض هذا كله عن كم هائل من الأشعار وعن وجود عدد كبير من الشعراء، يصعب على الباحث أن يجمعهم في سجل واحد.

وتنوعت أغراض الشعر عندهم، وإن جاء معظمه في الفخر والحماسة لأن المواقف تتطلب منهم هذا، إلا أننا وجدناهم قد تحدثوا في الوصف والحكمة والهجاء الذي لا يخرج بعيداً عن الرد بما تسمح به تعاليم الدين الجديد..

وحتى ما جاء في شعر النساء من الرثاء أو تذكر المواقف أو الاشتياق للزوج والأب والابن بعد خروجه والابتعاد عن أرضه إلى أراضٍ جديدة بين صفوف الجند ومقارعة الأعداء، فقد افتخرت بهم جميعاً ووصفتهم بكلمات وتعابير إسلامية جديدة ورثت من قُتل بكلمات عذبة رقيقة تدل على تغلغل الأخلاق الإسلامية في نفوسهن، والصبر على ما أصابهن بسبب البُعد أو الفراق فجاءت قصائدهن مختلفة عما كنّ نظمنه في العصر السابق. زد على ذلك وجود جيل جديد تحت الراية الإسلامية وتعلمهم مبادئ الدين الحنيف من أمهاتهم

وآبائهم، فجاءت أشعارهم فطرية على المفردات التي تعلموها، وجاء شعرهم سجلاً للصفحات الناصعة التي عاشوها في الحياة الجديدة وسجلاً لآداب كثيرة لم تكن لولا هذا التحول في الفكر والوجدان حتى غدا هذا العصر حافلاً بعدد كبير من الشعراء سواء المخضرمين منهم أو ممن ولدوا ونشأوا في ظل العصر الجديد عصر صدر الإسلام والخلفاء الراشدين ومما حملوه من قيم روحية وعقلية اجتماعية وإنسانية.

أسأل الله تعالى أن أكون قد وُفقت فيما أردت، وأن ينفع به الدارسين كما أحببت وكما هم يحبون.

والله ولي التوفيق

المؤلف

* * *

# تمهيد

دارت قبل الإسلام أحداث كثيرة وعظيمة، أدت إلى اضطرابات شديدة بين سكان الجزيرة، فجرت الدماء غزيرة بينهم، وامتدت لتلحق أجيالاً متلاحقة مما قرأنا في كتب الأدب من أشعار الشعراء في ذلك العصر (العصر الجاهلي) وما حدث من معارك وحروب بين أهل الجزيرة وممن جاورهم من الدول التي كانت تحيط بهم، ولعل ما أصاب قلب الجزيرة من الحروب الداخلية، قد أنهك العرب آنذاك بتجدد الخصومات والانشغال بالحروب، وقد ترتب على ذلك وجود شعر أرستقراطي ينتشر بين أبناء الطبقة الرفيعة، التي تهيأت لهم مواقف شعرية بلغة أدبية مرموقة، وإن لبست ثوب البداوة حيناً أو ثوب الحضر حيناً آخر.

وتمخض هذا الجو العام للحياة الفكرية والعقدية عن وجود عقيدة جديدة أسمى وأعز، وعن فكر أشرف وأرفع، فكان الإسلام الذي جاء ليشبع طموحات الفرد في تلك الفترة ويعبر عن آمال الناس بشيوع الأمن والطمأنينة وجمع كلمتهم فكان الدين الجديد الذي قبله الناس بسرعة وبأريحية وطواعية حيث جاءهم بكلمة التوحيد، ووقف الخصومات، وردم النزاعات القبلية التي استمرت إلى أزمان طويلة، ووقف الأخذ بالثأر ليحل محله نشر السماحة والعدل والحرية في الأرض.

جاء الإسلام إلى الناس بالكلمة الطيبة والخلق الكريم، وما حملوا سيوفهم إلا ليدافعوا بها عن أنفسهم وعن عقيدتهم. ونزلت الرسالة على محمد ﷺ وهو بينهم في مكة، وما لبثت أن انتشرت كلمة التوحيد في أنحاء الجزيرة العربية ثم حملها أصحابها إلى العالم بأسره ودخل الناس في دين الله الحنيف أفواجاً.

وتوحدت الأمة وألقت ما كان بينها من نزاعات وعصبيّات وراء ظهورها وأصبحت أخوة الإسلام هي رابطهم وهذا ما بدا واضحاً في قول الشعراء كما هو في قول النابغة الجعدي وهو ينشد:

بلغنا السماءَ مجداً وجوداً وسؤددا وإنا لنرجو فوق ذلك مظهرا

فتعلموا القرآن الذي ضم اللغة بين صفحاته، وكان معجزة العصور في تشريعه كما كان معجزة في ارتفاع بلاغته، وذكر أخبار الأمم السابقة، ولا عجب في ذلك وهم أهل الفصاحة والبلاغة، وأهل الذوق الرفيع في أشعارهم، فانشغلوا بالقرآن وأسلوبه، وانحسروا عن قول الشعر إلى فترة محددة، وكأنهم أخذوا في هذه الفترة جرعة جديدة، مما أدى إلى الاعتقاد بين الدارسين أن الشعر قد وهن أو ضعف. وهذا وهم أو تجني على حقيقة هؤلاء الناس لأن الناظر في كتب الأدب والمتفحص لما ورد من شعر الشعراء في العصر الإسلامي يتبين الدور الكبير الذي أخذه هؤلاء الشعراء على عاتقهم بالرد على من بقي على شركه من أهل مكة. وأما ما ورد من إشارات حول الشعر والشعراء، فإن القرآن الكريم لم يمنع قول الشعر، ولم يعادي الشعراء، وإنما كانت إشارات القرآن الكريم، تهذيب للشعر ووضع حد لقول الزور والفحش عند بعض الشعراء ولو استعرضنا الآيات التي نزلت في هذا الشان، فإننا نستدل على أن الشعر كان تعبيراً فنياً أثار الحماس في نفوس المجاهدين وتحريض على شحذ الهمم عندهم سيّما وأن هؤلاء المقاتلين كانوا بالأمس القريب هم قادة المعارك بين أبناء عشائرهم وقبائلهم. وهذا ما نجده من استماع الرسول ﷺ إلى الشعراء. وأن تحريض حسان بن ثابت للرد على المشركين لهو أكبر دليل على ذلك كما حثّ ﷺ الشعراء بأن يدافعوا عن المسلمين بشعرهم وكذلك الخلفاء الراشدين، وما جرى في الفتوحات الإسلامية ونقل الصورة من مواقع القتال هو الدليل على أن الإسلام لم يمنع الشعر ولا منع الشعراء من قوله.

ولو عدنا لاستعراض الآيات الكريمة التي نصت على الشعر لعرفنا قصد هذه الآيات حول الشعر والشعراء وهي:

- ﴿ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾ [الشعراء:224-227]. فهذه الآيات لم تتعرض إلى الشعر ذاته، ولم تقصد الشعراء كلهم، فهي تبين حال أولئك الشعراء الذين يتبعهم الغاوون، واستثنت من هذه الفئة الذين آمنوا وعملوا الصالحات وانتصروا للإسلام والمسلمين من أولئك المعتدين الظالمين، فهي لم تتحدث عن الشعر لا بخير ولا بشر وإنما تعرضت للشعراء الذين يقولون ما لا يفعلون.
- ﴿ بَلْ قَالُوٓا۟ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴾ [الأنبياء:5]. وهذه الآية تبين حالة التردد والتخبط عند بعض الناس في بداية الأمر، ولما غلبوا على أمرهم طلبوا معجزة والقرآن لم يثبت أن النبي كان شاعراً، ولكنه ينقل ما قاله هؤلاء.
- ﴿ وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [يس:69-70]. فالنبي ﷺ يتلقى القرآن من الوحي الذي ينزل عليه ويبلّغه بالمعجزات ولذلك لم يكن بحاجة إلى قول الشعر، والمشركون يعرفون هذا ولذلك كانوا يسمونه الصادق والأمين، إنما تنزّلت عليه الآيات لينذر من كان له قلب أو ألقَ السمع وهو شهيد.
- ﴿ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴿٣٦﴾ بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [الصافات:36-37]. إذن المسألة ليست مسألة شعر وشعراء، هم

لا يريدون التخلي عن آلهتهم لأنهم ورثوها عن آبائهم، واتهامهم للنبي ﷺ بقول الشعر، قول باطل، فهم يعرفونه جيداً بأنه ليس شاعراً ولم يقل الشعر وإنما هي افتراءات عليه.

- ﴿ فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ۝ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ۝ قُلْ تَرَبَّصُوا۟ فَإِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ ﴾ [الطور:29-31]. لم يذكر القرآن بأن محمداً ﷺ شاعر بل قال (أم يقولون شاعر) ومثلما قالوا ذلك فقد قالوا بأنه كاهن وساحر ومجنون، وهذه تصورات عبثية لأنهم لم يقولوا بأن محمداً قال شعراً، وإنما هو العناد ومجافاة الحقيقة.

- ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ۝ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ۝ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴾ [الحاقة:38-41]. فقد عبرت الآيات صراحة عن نفي قول الشعر وأن ما جاء به ليس بقول شعر.

والآيات كلها كما نلاحظ تتحدث عن الشاعر، ولم تتحدث عن الشعر، حتى ما ورد في سورة يس تنفي أن الرسول كان شاعراً وإنما هو مبلغ ومنذر، أنه مبلغ لرسالة ربّه العظيمة التي سمت فوق كل العقول، وأصحاب البلاغة والفصاحة، وهذا سرّ تعجبهم وعنادهم ووقوفهم لحربه وحرب من اتّبعه.

وهذا يدلل على أن ما جاء على ألسنة البعض ممن اعتقدوا بضعف الشعر إنما هو تجاوز، وربما كان قصدهم ضعف المستوى الفني بسبب انشغال الناس حينذاك بامتداد الصراع بين المسلمين والمشركين.

فالمسلمون في بداية الدعوة الإسلامية اتجهوا إلى الاتصال المباشر بالقيم الدينية الجديدة التي حملت الأخلاق وهذّبتها لتقود السلوك الذي ينبغي أن يتصفوا به، حتى يتمكنوا من زرعها في نفوس الآخرين وهذا ظاهر في قول

رسول الله ﷺ : (أدّبني ربي فأحسن تأديبي) وقول الله تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم:4] وقول عائشة رضي الله عنها: (كان خلقه القرآن).

فحمل المسلمون كل هذه المعاني وانشغلوا بنشر الدعوة الإسلامية، كيف لا وهم القدوة في ذلك لتطبيق آيات الله تطبيقاً عملياً على أرض الواقع الجديد لتوضيح آيات القرآن ومعالجة القضايا التي يحملونها وبما جاء به الإسلام.

فإذا ما عرفنا بأن هؤلاء جميعاً كانوا فحولاً في قول الشعر في العصر السابق وأن ضعف الشعر قد بدأ قبل مجيء الإسلام، ولا أدلّ على ذلك من قدوم الأعشى أو لبيد الذي أوشك أن يكف عن قول الشعر، فإننا نعرف سبب ضعف الشعر وليست قلّته.

ورغم ذلك فإننا نرى كتب الأدب والرواة والتاريخ تزخر بما نظم من شعر في عصر صدر الإسلام. فلم نجد حدثاً أو موقعة، أو حديثاً، إلا ونصادف تصدي الشعراء له بشعرهم، يصفون الحدث ويسجلون الواقعة وما أعظم وصفهم للحدث الأكبر وهو دعوة الرسول ﷺ إلى الإسلام.

وهنا انقسم الناس إلى مؤمن بالدعوة الجديدة، وإلى كافر بهذه الدعوة، فالذين آمنوا تصدوا للمشركين بألسنتهم كما تصدوا بأسنتهم للدفاع عن الرسول ﷺ وعن المسلمين الذين التحقوا بدعوته، حتى استقام الأمر في الجزيرة العربية، ولو لاحظنا ما كانوا يردون به على بعضهم، في شعرهم بذكر أسماء بعضهم وأسماء قبائلهم وهذا ما ثبت في أشعارهم التي انتقلت إلينا عن كتب التراث الأدبي في تلك الفترة. وبقاء الأمور هكذا، حتى توفي الرسول ﷺ والتحق بربّه، ففجع الناس بحدث عظيم آخر وتفجرت فيهم ينابيع جديدة بمعاني كثيرة، خرجت على سجيّتها لتصف الحدث الكبير وبما يليق به، فقال الرجال مراثيهم وقالت النساء أشعارها، تصف النبي وعهده بخير الأوصاف

وأعظمها. ثم استلم الخلافة من بعده خليفته وصاحبه أبو بكر الصديق ﷺ وما لبث حتى كانت ردّة بعض القبائل وتوقفهم عن دفع الزكاة، وكانت المسألة خطيرة فقام يحاربهم، وأرسل الجيوش لردعهم وإعادتهم عن غيّهم، فقام الشعراء يصفون هذا الحدث، ويصفون ما يصادفهم من غزوات ووقائع حتى استقر الأمر فكان كماً كبيراً من الأشعار قد سطرت لتحتفظ به ذاكرة الأيام على مرّ العصور حتى يومنا هذا، وكانت بعد ذلك الفتوحات، التي انطلق فيها جموع كثيرة وجيوش عظيمة وفي مناحٍ عديدة، انطلقوا وهم يحملون مشاعل النور والإيمان إلى أرض جديدة خارج الجزيرة، ورافق هذه الجموع وتلك الجيوش، شعراء يحملون الدعوة، فهم مقاتلون وهم منشدون، يحمّسون الجيوش ويحرضونهم على الجهاد لنشر الدعوة.

وتوسعت رقعة الأرض الإسلامية، مستضيئين بالقرآن الكريم، وهدي نبيهم الذي ارتحل بجسده وبقوا محتفظين بعهدهم ملتزمين بتعاليم دينهم.

فعبروا عن عواطفهم ومشاعرهم بنظم أشعارهم مما روته لنا كتب التراث ومما قاله هؤلاء الشعراء وأصبحت عيون الكتب تمتلئ بقصائدهم مثل كتاب الأغاني والطبري وابن هشام وابن قتيبة وغيرها العديد العديد، ممن ترجموا لهؤلاء الشعراء وأثبتوا شعرهم. وهذا يعني أن الشعر ظل مزدهراً وإن خبت جذوته في السنين أو على الأصح في السنتين الأوليتين من الدعوة الإسلامية. وعلى وجه الخصوص عهد النبي ﷺ.

ولا أحد يستطيع أن ينكر وقوف ثلاثة من فحول الشعراء إلى جانب الرسول ﷺ ينافحون عنه وعن دينه من الشعراء المخضرمين وهم حسان بن ثابت وكعب بن مالك وعبدالله بن رواحة، وهم يردون على المشركين أو يجيبون على من كان يحضر من الشعراء مع الوفود لإعلان إسلامهم. فكان عمر ﷺ كثيراً ما يسأل هذه الوفود عن شعرائهم، وربما هو نفسه أنشد لبعض الشعراء

استحساناً، لكن صحابة رسول الله وخلفائه الراشدين ما زالوا ينهون عن الهجاء ويعاقبون عليه، فقد حبس عمر ﷺ الحطيئة عندما أقذع في هجاء الزبرقان بن بدر ثم عفا عنه بعد أن استرحمه وعاهده على ألا يعود إلى ذلك، وكذلك فعل عثمان بن عفان ﷺ مع ضابئ بن حارث البرجمي، حين هجا جماعة من الأنصار.

وهذا خاص بالهجاء، لكن أغراضاً أخرى بقيت وبقي الشعراء يتابعون الأحداث ولا نبالغ إذا قلنا بأنها ازدهرت خاصة في الرد على الوثنيين أو المرتدين أو في وصف الفتوحات الكثيرة، حيث استمر شعراء القبائل ينظمون الشعر ومنهم من لم يسلم، ولذلك استبعدتهم من هذا الكتاب ليكون خالصاً للشعراء المسلمين وردودهم على غيرهم.

تشكلت نواة الدولة الإسلامية في المدينة بعد أن هاجر إليها الرسول الكريم ﷺ ، وهاجر معه أصحابه، وسرعان ما نشبت الصدامات والمعارك بين الدولة الفتية وأهل الشرك في مكة، ومن خلال ذلك فقد وصلنا شعر كثير من شعراء مسلمين مؤمنين بدور شعرهم في الرد على غيرهم، ونقض أشعارهم سواءً في قصائد طويلة أو مقطوعات قصيرة، تعبر عن الحدث، وقد لمعت أثناء ذلك أسماء جديدة، ترمي بسهامها من يرشقون رسول الله ﷺ أو أصحابه ممن هاجروا ممن نصروهم في المدينة المنورة، فهذا أبو سفيان بن الحارثة والزبعري وضرار الفهري وهبيرة المخزومي وغيرهم تعرضوا للمسلمين بالهجاء، فعزّ على رسول الله ﷺ أن يصد هؤلاء عن سبيل الله، فقال حينها للأنصار «ما يمنع القول الذين نصروا رسول الله بسلاحهم أن ينصروه بألسنتهم؟» .

وكأنهم كانوا ينتظرون هذه المقولة، فقال حسان بن ثابت: أنا لها، وأخذ بطرف لسانه، وانضم كعب بن مالك وعبدالله بن رواحة إليه، وهذا ما نلمسه بعد معركة بدر في السنة الثانية للهجرة، وعقب غزوة أُحُد في السنة التي تلتها، ثم بعد غزوة الخندق وبعدها فتح مكة، وسوف نرى بين صفحات هذا الكتاب

الشيء الكثير مما تحدى به شعراء المسلمين وردوا به على المشركين في تلك الغزوات وما تلاها من معارك، مما اشتكى منه شعراء الشرك لأن هذه الأشعار كانت تؤذيهم، لأنها تمثلت بالأيام والمآثر وعيروهم بالكفر والمثالب وبنفس أسلوب قولهم وشعرهم ومما كانوا يبصرونه بأعينهم وبما كانوا يعتزون به من شرك وعبادة أوثان وأنصاب وأزلام وغير ذلك

كما نلاحظ نقل صور بكاء شعراء الجاهلية قتلاهم ويشاركهم فيها نفر من أتباعهم أو من يلتفون حولهم ضد المسلمين، ويرد عليهم المسلمون مهددين ومتوعدين، أو وداعين لهم بالمثوبة لأن باب التوبة سيبقى من الله مفتوحاً، لكن مصير المعاندين هو النار وأما الجنة فهي مأوى التائبين.

ولهذا فإننا نرى عدداً كبيراً من هؤلاء يسترشدون، ويهتدون فيعودون عن غيّهم ويلتحقون بالمسلمين، الذين هم في الأساس إخوانهم وأقرباؤهم وأبناء عشيرتهم وأبناء قبيلتهم ليبدؤا وبحماس أشد، يدافعون عن الإسلام والمسلمين، ويحرضون على دخول دين الله، فكان هؤلاء الشعراء ينتشرون في الصحراء ويعلنون توبتهم وأن الله هداهم وقد أصبحوا في جيش محمد ينافحون عنه وعن المسلمين عامة وتزيد أشعارهم وتكثر بما حملته من معانٍ جديدة تكفلوا بالدفاع عنها وتبقى الحال هكذا حتى فتحت مكة ذراعيها للعائدين إليها وذلك في السنة الثامنة للهجرة وقد بقي فيها بقية من هؤلاء المصرين على الشرك كأبي خراش الهذلي الباكي دُبَيَّة سادن العزى، وتبقى بقية من ثقيف، لكن دخول مكة في الإسلام، أدخل الجزيرة كلها في دين الله، وحينها جاءت الوفود وعلى رأس هذه الوفود شعراء قريش، يطلبون الصفح والعفو ومنهم أنس بن زنيم الذي هجا الرسول في وقت سابق، ليعلن اعتذاره ويمدح الرسول بشعره، وتأسي أبي سفيان بن الحارث على ما فرط في جنب الله ورسوله.

ثم نظمت قصائد كثيرة في رثاء قتلى المسلمين، وعلى رأس هذه المراثي، قول حسان يرثي رسول الله ﷺ حين انتقل إلى الرفيق الأعلى، فكانت مرثيته من أرق ما قالت العرب في عصورها فقد بكاه بكاءً حاراً واستهلها بقوله:

مـا بـال عـيني لا تـنام كأنمـا كحلـت مآقـيها بكحـل الأرمـدِ

ولم يكد الصديق أن يتسلم مقاليد الخلافة بعد رسول الله حتى وقعت موجة من الردّة عن الإسلام وامتناع كثير من المرتدين عن أداء الزكاة ويظهر عدد ممن ادعوا النبوة في قبائلهم، ويستشير الصديق أصحابه فيما يصنع، ويصعد أبو بكر ﷺ المنبر ويخطب في الناس خطبته المشهورة والتي قال فيها: «والله لو منعوني عقالاً كانوا يؤدونه لرسول الله لجاهدتهم عليه» ثم وجه الجنود، فأرسل خالد بن الوليد إلى بني أسد التي تجمعت حول متنبئ فيها واسمه طليحة بن خويلد وانضمت إليها غطفان، ولما يئس خالد من ردّهم عن غيّهم قاتلهم قتال المؤمن بربّه وبرسوله عند بئر يقال لها (بُزاخة) حتى استسلمت أسد وغطفان، ويتوجه بعدها إلى تميم ومتنبئها سجاح، وقامت بين الطرفين مناوشات صغيرة، أذعنت بعدها تميم لخالد ورجعت عن ردّتها، ثم اتجه خالد بجيشه إلى بني حنيفة في اليمامة والتقى بهم وبمتنبئهم مسيلمة الكذاب في الموضع الذي يقال له (عقربة) ودارت بين الطرفين معارك طاحنة، فقتل فيها مسيلمة وأعلنت تميم استسلامها، وسرعان ما دانت البحرين بالطاعة، وامتدت قوافل المسلمين إلى حضرموت ونجران واليمن حيث التفّ المرتدون هناك حول الأسود العنسي، وقيس بن عبد يغوث ولكن بعون الله ما لبثت أن استسلمت وعادت أمور المسلمين على ما كانت عليه في عهد الرسول ﷺ .

وكل هذه المعارك التي دارت في بداية عهد الصديق، تركت لنا تراثاً كبيراً من الشعر، كان بعضها وعظاً وبعضها إنذاراً وبعضها في الحماسة.

وما لبث الصديق أن أرسل الجيوش إلى خارج الجزيرة لنشر الإسلام، فكان المثنى بن حارثة وخالد بن الوليد يواجهون الجيوش في العراق ويواجه عمرو بن العاص ويزيد بن أبي سفيان وشرحبيل بن حسنة جيوشاً أخرى في الشام وينتصرون في معاركهم ويلحق خالد بن الوليد الجيوش إلى فلسطين وينتصر على أرطبون في معركة أجنادين، كما انتصر في موقعة اليرموك، وتستمر المعارك وتحاصر الجيوش دمشق وتستولي على حمص. وفي السنة الثالثة عشرة للهجرة ينتقل أبو بكر إلى حياة البرزخ قرير العين ويبكيه الشعراء وخير ما قيل فيه قول حسان بن ثابت:

إذا تذكرت شجواً من أخي ثقةٍ ... فاذكر أخاك أبا بكر بما فعلا

التالي الثاني المحمود سيرته ... وأول الناس منهم صدّق الرسلا

وثاني اثنين في الغار المنيف وقد ... طاف العدوّ به إذ صعّد الجبلا

وكان حِبَّ رسول الله قد علموا ... خيرِ البريَّةِ لم يعدل به رجلا

ويستلم الراية عمر بن الخطاب ﷺ ، ويسير على سنّة رسول الله ﷺ وخليفته الصديق ﷺ ، وفتح الله له الفتوح، وتنطلق الجيوش إلى الشرق وإلى الغرب لنشر الإسلام وتقوم المعارك حامية الوطيس وينتصر المسلمون على الفُرس ويُقتل رستم قائد الفرس ويستولي المسلمون على نهاوند ثم أصفهان ثم اصطخر، وفي كل معركة نلتقي بأشعار كثيرة في تحريض الجنود على القتال وفي الحماسة، ويحس المتتبع لأخبار الجزيرة أن أهل الجزيرة كلهم فرسان ومقاتلون وشعراء يجاهدون في سبيل الله لنشر الدين الحنيف، فمنهم من قال الشعر تأسياً لفراق وطنه ومنهم من قاله تأسياً لضعفه وبعضهم من قال الشعر فرحاً مستبشراً بالجهاد في سبيل نشر الدعوة وخاصة الشباب من المسلمين ومنه قول النابغة الجعدي حين خرج في فتوح فارس:

يـا بـنة عمـي كـتاب الله أخـرجني ... طـــوعاً امـــنعنَّ الله مـــا فعـــلا
فـإن رجعـت فـربُّ الناس يرجعني ... وإن لحقـــت بربـــي فابتغـــي بـــدلا
مـا كـنت أعـرج أو أعمى فيعذرني ... أوْ ضارعاً من ضنىً لم يستطع حولا

وما زال عمر بين الناس يسوسهم بالعدل والتقوى حتى قُتل على يد أبي لؤلؤة المجوسي وهو في الصلاة سنة ثلاث وعشرين للهجرة، وقد رثاه جَزْء بن ضرار بقوله:

جـزى الله خـيراً من أميرٍ وباركتْ ... يـــدُ الله في ذاك الأديـــم الممـــزّقِ
فمنْ يسعَ أو يركب جناحيْ نعامةٍ ... لـيدرك مـا حاولتَ بالأمس يُسبَقِ
قضـيت أمـوراً ثـم غادرت بعدها ... بوائـــقَ في أكمامهـــا لم تُفَـــتَّقِ

وبعد وفاة عمر يقع اختيار المسلمين على عثمان بن عفان ﷺ ، لينفذ ما سار عليه أصحابه من قبله وتستمر فتوحات إفريقية بقيادة عبدالله بن سعد بن أبي السرح ثم تدور الدوائر وتتطور الأحداث ويُقتل عثمان سنة خمس وثلاثين للهجرة، ويبكيه الصحابة ومنهم أيمن بن خريم فيقول:

ضحوا بعثمان في الشهر الحرام ضُحىً ... وأيُّ ذبـــحٍ حـــرامٍ لهـــم ذبحـــوا
إن الـــذين تولّـــوا قـــتله ســـفهاً ... لاقـوا أثامـاً وخسـراناً فمـا ربحـوا
مـــاذا أرادوا أضـــلَّ الله ســـعيهم ... بسـفحهم الدَّمَ الزاكي الذي سفحوا

ويبايع المسلمون بعد عثمان، علي بن أبي طالب ﷺ ، وكان أكبر الشخصيات بين المهاجرين، لكن هذه البيعة لم ترضِ الناس جميعاً فاستنفروا أهل البصرة ووقع الخلاف بينه وبين معاوية إثر إقالته عن بلاد الشام، وكانت معركة صفين على الضفة اليمنى لنهر الفرات، وحصل التحكيم لوقف الحرب بين

علي ومعاوية، ورفض بعض أنصار علي التحكيم فخرجوا عليه، وكانت النتيجة أن قتل عبدالرحمن بن ملجم علياً غيلة سنة أربعين للهجرة فبكاه كثير من أصحابه وعلى رأسهم أبي الأسود الدؤلي فقال:

أفي شهر الصيام فجعتمونا ... بخير الناس طرّاً أجمعينا
قتلتم خير من ركب المطايا ... وخيّسها ومن ركب السفينا
إذا استقبلت وجه أبي الحسين ... رأيت البدر راق الناظرينا
لقد علمت قريش حين حلّتْ ... بأنك خيرُها حسباً ودينا

وقد كثرت الأشعار في هذه الاختلافات والحروب الأهلية، سواء بعد مقتل عثمان والساخطين لمقتله وخاصة من بني أمية وعلى رأسهم الشاعر الوليد بن عقبة حين خاطب بني هاشم وحرّض على الثأر من قاتليه والتي نشبت على إثر ذلك معركة الجمل فكانت أشعاراً على قدر الحدث، أو ما كان زمن علي وتنادي الشعراء بالتهديد والوعيد، لاعتقاد الجميع أن الحق في جانب كل واحد منهم وأصبح كل شاعر ينظم قصيدة ويرد آخر عليه، وقد كثر هذا الشعر إثر وقعة صفين، وظهر فيها نيران العصبيات القبلية ومهما كان الأمر، فقد أشعلت هذه الأحداث جذوة الشعر العربي وبينت الكثير من خصائصه وأغراضه وأساليبه.

وفي أثناء ذلك كان للمسلمين معارك طاحنة مع من حولهم، يجاهدون في سبيل الله فحاربوا دولتي الفرس والروم واستولوا على أمصارهم، وكان شعراء المسلمين أثناء ذلك يصفون هذه الانتصارات وتلك المعارك، وينظمون أناشيدهم الحماسية وهم يقارعون أعداءهم، فهذا أبو محجن الثقفي يبلى بلاءً حسناً في القادسية ويسهم إسهاماً عظيماً في القتال وينشد قوله: